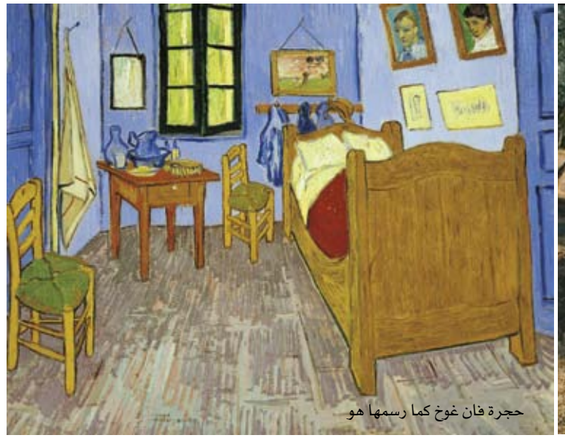

حجرة فان غوخ كما رسمها هو

الألوان المتدرجة، كتلك التي تصادفنا في لوحات فان غوخ. يبدو دافو ذو الشعر المحمر واللحية والعيون الزرقاء الجاحظة والوجه المضطرب، أقرب ما يكون لصورة فان غوخ كما نعرفها، ولكن تألق الأداء الذي قام به يدفعنا إلى تجاوز حدود التشابه الشكلي، لنجد أنفسنا، كمشاهدين، مأثورين بالطريقة التي ينقل بها دافو بهدوء أفكار فينسنت وإحساسه المتزايد بفقدان الأمن، وكذلك لحظات الإلهام. وعندما يفصح غوغان عن رغبته في مغادرة أرليس، يُظهر فان غوخ حزنًا كبيرًا، نجح دافو في تجسيد تفاصيله عبر ملامحة التي جسدت معانى القلق والانزعاج بصورة بارعة. بعد مغادرة غوغان، يخبر فان غوخ الطبيب بأنه قام بقطع أذنه، بغية إرسالها إلى صديقه. هذه التفصيلة التي نالت شهرة واسعة وارتبطت باسم فان غوخ، لا نشاهدها على الشاشة بل يخبرنا فان غوخ بها في حديثه مع الطبيب فقط.

نجح شنابل في الدخول إلى عالم فان غوخ الإنسان والرسام. في المشاهد الممتدة على طول الفيلم، يتجول الفنان داخل المناظر الطبيعية، يتفحص الضوء الذي يتدفق عبر الأشجار أو يتسلق تلًا صخريًا للحصول على رؤية أفضل. تغيير طفيف في النور يبدو كأنه حدث بالنسبة إليه، الأشياء تبدو في عينيه غير ما تبدو في الواقع، وكذا ألوانها. يأتي تعبير دافو ليخبرنا عما إذا كان فينسنت هنا يبحث عن المعنى في الأشياء أم يصارع ذاته بحثًا عنه أم يعيش مرحلة مخاض للوحة جديدة. يسجل تاتيانا ليزوفسكيا Tatiana Lisovskya موسيقى تصويرية مبهرة لتلك المشاهد. الإيقاع ليس بطيئًا على الإطلاق، بل كان رائعًا ينتقل من مشهد لمشهد دون تطويل أو اختصار لأي منها. كما نجح تصوير بنفيت دلهوم Benoît Delhomme في أن يعكس أعمال فينسنت المشهورة عالميًا، بما في ذلك الجدران الصفراء الشهيرة بغرفة نومه في أرليس، دون أن تبدو تلك الأعمال شبيهة بالصور الكاريكاتورية أو المعاد رسمها. نرى داخل الفيلم مجموعة من زهور دوار الشمس الميتة، وفي وقت لاحق، تظهر إحدى لوحات فان غوخ المشهورة بدوار الشمس (رسمها العام 1888 قبل وفاته بعامين) على إحدى جدارن غرفة نومه، دون أن يركز شنابل الكاميرا عليها فتبدو طبيعية للغاية. الكاميرا تتحرك كما لو أنها تحاكي عين فان غوخ في نظرته للطبيعة، وفي بعض الأحيان تتحرك بنوع من الاضطراب كما لو أنها تعكس اضطراب فان غوخ نفسه.

استطاع شنابل بكاميرا الرسام أن يستوعب هذه الرؤية الصوفية لرحلة فان غوخ، استخدم الكاميرا الذاتية التى تعبر عنه وعنها، فإذا كانت اللقطة موضوعية، فإنها تحاكى أيضًا عين فان غوخ التى ترى الأشياء بصورة مختلفة، يختل المنظر التقليدى، وتختفى التكوينات الكلاسيكية، نرى المشهد كما رآه الفنان، وليس كما يبدو، حتى فى ظل المرض، تعبّر المرشحات عن ضباب لا يمكن أن يحجب المنظر، يشوهه ولكن لا يخفيه أبدًا. على شريط الصوت تنساب موسيقى مذهلة، بيانو وكمان، وشمس فان غوخ تكاد تخرج من الشاشة لتضىء قاعة العرض. ينتقل الفيلم في إحدى مشاهدة إلى مشهد يُظهر بعض المعلقين والرعاة الفنيين الذين يجلسون في إحدى مقاهي باريس، أحدهم يقرأ مراجعة ساخرة لبعض أعمال فان غوخ، تتحول الصورة بعد ذلك من هذا المشهد إلى مشهد يظهر فيه فينسنت مربوطًا بسترة مثبتة في زاوية فراش غرفته داخل المصحة النفسية التي كان يتردد عليها. وهو مشهد معبر للغاية عن حالة التجاهل التامة التي عاني منها في حياته.

ربما كان القصور الرئيس في الفيلم هو اعتماد الحوار فيه على بعض الرسائل التي تركها فان جوغ، والتي شكلت المادة الخام التي عمل عليها شنابل. المشكلة أن الالتزام بما ورد في تلك الرسائل، جعل حوار فينسنت، سواء مع غوغان أو طبيبه النفسي، يبدو تعليميًا في جانب كبير منه.

الحديث حول حقيقة وفاة فان غوخ إشكالية بدرجة كبيرة. يتبنى الفيلم طرحًا مغايرًا عن الطرح الشائع القائل بانتحاره، حيث يصورة مضرجًا في دمائه بعد إطلاق النار عليه من قبل بعض المراهقين، أحدهما يرتدي زي بافالو بيل. ومع تقدم الفيلم صوب نهايته، فإنه لا يقرر ما إذا كانت موهبته الفنية هي مصدر عبقريته أم إنها عرض من أعراض المرض أم كليهما معًا، ولكن الفيلم في مجمله ينحو نحو إظهاره بمظهر "العبقري المجنون".

أخيرًا، وسواء تحدثنا عن فينسنت المحب أو عند بوابة الأبدية، فنحن أمام عملين جاءا على قدر مستوى موهبة فان غوخ وبإيمان حقيقي بها. وأحد مواطن الإبهار فيهما كونهما ينظران إلى الفن بوصفه كشفًا وتجربة داخلية، وما الألوان والأشكال إلا تعبيرًا خارجيًا عن هذا الكشف. فى أحد أجمل مشاهد فيلم عند بوابة الأبدية يقول فان غوخ إنه سابق لزمنه وأنه لا يلوم أحد على تجاهله، وإن معاناته كما المعاناة الذي تعرض لها السيد المسيح، فالآلام عنده، كما يقول الناقد محمود عبد الشكور، تبدو ثمنًا بخسًا للأبدية، للقيمة، للنقش على جبين الزمن، للامسة الخلود، ولتحرير الجمال المراوغ، ووضعه فى لوحة ملونة، الفنان فقط هو الذى يرى، الآخرون ينظرون فحسب.

طفولة الحب

عيادة خليل

عرعر - السعودية

أميرة الحسن رفقاً بالذي خفقا
فإن فيه غراماً بعدُ ما اندفقا
واستوعبي الحب إن الحب مدرسةٌ
تعلم القلب فيها وارتقى ورقى
الحب طفل أتى للأرض مبتسما
وهذب الكون حتى تم واتسقا
وأرسل النور في أرجاء عالمنا
حتى أنار المدى والأرض والأفقا
نامت قلوبٌ وقلبي غمه وترٌ
مدندنٌ ضاق منه القلب واختنقا
وأمطرت مع قلبي مقلتي وجعا
والليل فيها وفي أعماقها غرقا
وزاد فيها هدير الحزن مشتعلاً
بحالة أبكتِ القنديل والورقا
أكل من يهتوي ترثيه حالته
وينطوي في ظلامٍ.. يرقب الفلقا
دعي نسيم الهوى فوق قافيتي
ويبحران لبوحي حيثما اتفقا
كتبت حرفي بها فازداد رونقه
وفاح منه عبيرُ وارتوى ألقا
لكن إحساس قلبي بعد غيبتها
إحساس من صار قرب النار فاحترقا
عادت بخيبتها روحي ... فقلت لها
ألا تزورين قلباً باسمكم نطقا
لما رآكم كأن الوجد يعصره
فسخر الشعر نزفا منه ... ما سرقا
فصار والليل عصفورين في قفص
ما أرسلا الشدو ما رفّا وما انطلقا
نحو البراءات في عينيك رحلته
ونحو كل غرام دمعه طفقا
عودي إليه ومُدي قلبه فرحاً
فإنه لو درى بالعشق ما عشقا!